النشيد الإسلامي المعاصر :النشيد السوري أنموذجاً

Contemporary Islamic Song: A Case Study of Syrian Nashīd

د. خنساء الجاجي*
د. ظلال الجاجي**

Abstract

Having different connotations in various Islamic countries, nashīd mainly stands for an Islamic Song. The present article introduces nashīd, explains its importance and sheds light on its numerous aspects and usages in the society such as: teaching, preaching, and entertainment. The article also discusses difference between Islamic and Religious nashīds; difficulties faced by the Islamic nashīd; most important schools of Islamic nashīd, famous Munshidūn in Arabic countries and all over the world and famous poets whose poems were converted to songs, such as 'Umar Bahā al-Dīn al-Amīri.

Keywords: Islamic Nashīd, Islamic literature, 'Umar Bahā al-Dīn al-Amīri

يهدف هذا البحث إلى التعرف على النشيد الإسلامي في العصر الحديث من خلال تناول البحث لمصطلح النشيد، والتطور في دلالاته واستعمالاته، ليصل إلى النشيد في العصر الحديث، ودوافعه ثم توظيفه في مجال التعليم والدعوة والترفيه، وتناول البحث أهم ما يميز النشيد الإسلامي عن غيره من النشيد الوطني والديني والغناء، ثم حاول البحثُ الإحاطةَ بأهم العقبات التي تواجه النشيد الإسلامي في مسيرته، وأهم مقاصد المستمع للنشيد الإسلامي، ثم الإلمام بأهم المدارس الإنشادية الإسلامية وأبرز المنشدين في الدول العربية والإسلامية.

وحدود البحث هي النشيد المتصف بالإسلامية في الدول العربية بشكل عام، وفي سوريا بالتحديد نموذجاً، وقصائد للشاعر عمر بهاء الدين الأميري التي اختيرت من قبل منشدَين سوريين هما "أبو الجود" وأبو دجانة". والمنهج الوصفي هو المناسب لهذا البحث، وخُتم البحث بنتائج من أهمها: أن المدرسة السورية في النشيد كان لها المنزلة الأقدم والأقوى، وأبرز المنشدين فيها أبو الجود، وأهمية دور الشعراء في رفد النشيد وإمداده بالشعر الإسلامي في عملية الإنشاد.

أسباب اختيار موضوع البحث:

1. إبراز أهمية دور النشيد في إحياء المعاني الإسلامية في النفوس.
2. التعريف بأهم المنشدين في الدول العربية وغيرها.
3. التقريب بين المسلمين في شتى أنحاء الأرض، بمشاركة الهموم والآمال وذلك من خلال نشر النشيد بما يحمله من معانٍ وأفكار وتعبير عن المسلم بغض النظر عن مكانه وموقعه.

الهدف من هذا البحث: تقديم النشيد الإسلامي وإبراز أثره لما للنشيد من جاذبية للأذن بموسيقاه وألحانه، ولما للأشعار المختارة بعناية من تميز في الأدب العربي الإسلامي في العصر الحديث، وبما تربط هذه الأشعار المسلم بأخيه المسلم أينما كان بمعاناته وآلامه وأحلامه وتطلعاته. ولا يخفى على القارئ مدى أهمية تسهيل حفظ الأشعار عند الطلاب باستخدام اللحن والتنغيم، ومن شواهد التاريخ أن يقوم كثير من المربين والمعلمين بنظم قواعد اللغة أو التجويد

* مُحاضِرة في قسم اللغة العربية/ جامعة بيشاور.
** مُحاضِرة سابقة في قسم اللغة العربية/ جامعة العلوم والتكنولوجيا، صنعاء، اليمن.

أو الفقه مُتّبِعين بحور الشعر المعروفة ليسهّلوا لتلامذتهم حفظ تلك القواعد والأحكام، فكيف بنا حين تجتمع الكلمة المفيدة البنّاءة واللحن الجميل!! فلا شك أنها ستكون أكثر تأثيراً وأعظم إمتاعاً.

منهجية البحث: يعتمد المنهج الوصفي لمناسبته لموضوع البحث.

الدراسات السابقة: استفاد البحث من بعض الكتب والأبحاث التي سبقت دراستنا هذه، ومنها:

- كتاب: حقيقة النشيد وحكمه، لصالح بن أحمد بن محمد الغزالي، ١٤١٣هـ.
- مقالة بعنوان: "جدل ساخن حول انتشار الأناشيد في الساحة"، لعبد القادر الزين، الدمام، جريدة اليوم، ٢٠٠٩م.
- مقالة بعنوان: "مدخل إلى الإنشاد الديني في العالم العربي، لوائل قاقيش، مجلة شرق غرب، ٢٠١٥م.
- مقالة بعنوان: "النشيد الإسلامي ... الفن في المواجهة"، لفاطمة عبد الرؤوف، ٢٠١٠م/ ١٤٣١هـ.
- مقالة بعنوان: "النشيد الإسلامي من المسجد إلى الفيديو كليب" لنجدت لاطة، رابطة أدباء الشام، ومجلة "فلسطين المسلمة"، ٢٠٠٥م.
- كتاب: الفن المعاصر صورة وآثاره ... فلسفته وأحكامه، لد. علي بن حمزة العُمري، رئيس جامعة مكة المكرمة العالمية والأمين العام لرابطة الفن الإسلامي العالمية، ٢٠١٠م.

تعريف النشيد:

النشيد والإنشاد: رفع الصوت. ومنه نَشَدَ الشعر وأنشده، فنشده: أشاد بذكره، وأنشده إذا رفعه. وتناشدوا: أنشد بعضهم بعضاً. والنشيد: فعيلٌ بمعنى مُفْعَل، والنشيد: الشعر المتناشدين القوم ينشد بعضهم بعضاً. والنشيد من الأشعار: ما يُتناشَدُ. واستنشدتُ فلاناًشعره فأنشدنيه.[1]والنشيد هو: رفع الصوت بشعر أو رجز أو نثر، بنوع فيه ترجيع وترقيق وتنغيم، لأجل إثارة الحماس والعواطف والغيرة الدينية، في أوقات وأماكن متنوعة.[2]

ومن خلال تعريف النشيد يتبيّن أن النشيد نوع جديد من السماع أُحدث في هذا العصر ... ويتميّز عن السماعات القديمة المعروفة بالحُداء[3] والنَصْب[4] والغناء والسماع الصوفي.

فمن أوجه مخالفته للحُداء والنَصْب: أنه يُسمع ويُنشد في أماكن وأوقات متنوعة، وغير مقصورة على ما كان يُنشد في الحُداء والنَصْب، كما أن في النشيد من المقاصد ما ليس في الحُداء والنَصْب، كإثارة الحماس والغيرة والعواطف الدينية.

ومن أوجه مخالفته للغناء: أنه ليس مما يقصد به مجرد التطريب كالغناء، وليس في كلماته ما هو في جنس كلمات الغناء من الحب والتشبيب والعشق الذي يقدم ليثير الغرائز ويغري بها.

ومن أوجه مخالفته للسماع الصوفي: أن معنى التعبد والتقرب إلى الله مما لابد منه في السماع الصوفي بخلاف النشيد الذي يحاول أن لا ينحصر في هذا الجانب فقط، وكذلك آلات اللهو وكلمات الحب والعشق والغزل لازمة للسماع الصوفي دون النشيد.[5]

والإنسان بفطرته يحب الجمال، ويلقي انتباهه للصوت الجميل، ويطرب له، والتاريخ يروي لنا ولع العرب بالحداء وتخيرهم لصاحب الصوت الجميل، فيختارونه ليسيّر قوافلهم من الإبل ويسرع بها، فنرى الإبل تشبه أصحابها –في تأثرها بالصوت الجميل– في انسياقها خلف الحادي فتنسى تعبها وتحثّ السير وتقطع الفيافي، يتغلب شغفها بالصوت واللحن الجميل على ما تلاقيه من تعب في سفر الصحراء الشاق، من شمس لاهبة نهاراً أو برد قارس ليلاً. والباحث جوزيف البدوي يرى أن أول حركة إيقاعية عرفت عند العرب هي الحداء لما تُشكّل في السير الطويل على الجمال من إيقاع منظوم يُسرع أحياناً ويُبطئ أحياناً حسب مشيئة سائق الجمال.[6]

ومما ورد إلينا من تفضيل الرسول –صلى الله عليه وسلم– للصوت الجميل ما رواه النسائي من اختياره الذوقي لجميل الصوت في واجب بلاغ الصلاة؟ حتى اختار لها أبا محذورة، ووصفه بأنه "إنسان حسن الصوت" وأمره أن يؤذن عند البيت الحرام.[7]

وما رواه مسلم من قوله –صلى الله عليه وسلم–: "رفقاً بالقوارير يا أنجشة".[8] وما رواه ابن حبان بسند صحيح عن موقفه –صلى الله عليه وسلم– مع عامر بن الأكوع الذي حرّك الإبل وهيّجها فرقصت من حدائه الجميل، مما حدا بالنبي –صلى الله عليه وسلم– أن يسأل عنه ويدعو له: "مَنْ هذا غفر الله له؟". فقال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: ألا أمتعتنا به؟!.[9]

ويبين الشيخ محمد صالح المنجد أن النصوص الشرعية الصريحة جاءت بدلالات متنوعة على إباحة إنشاد الشعر واستماعه فقد صح عن النبي –صلى الله عليه وسلم– والصحابة الكرام –رضوان الله عليهم– قد سمعوا الشعر، وأنشدوه واستنشدوه من غيرهم في سفرهم وحضرهم وفي مجالسهم وأعمالهم، بأصوات فردية كما في إنشاد حسان بن ثابت وعامر بن الأكوع وأنجشة –رضي الله عنهم–، وبأصوات جماعية كما في حديث أنس –رضي الله عنه– في قصة حفر الخندق، قال: فلما رأى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ما بنا من النصب والجوع، قال: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة، فقالوا مجيبين نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبدا[10]. وأكد المنجد أن أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يكونوا منحرفين ولا متماوتين بل كانوا يتناشدون الأشعار في مجالسهم ينكرون أمر جاهليتهم فإن أريد أحدهم عن شيء من دينه دارت حماليق عينه.[11]

النشيد في العصر الحديث: أصبح للإنشاد الديني أهمية كبيرة في بدايات القرن العشرين، وزاد من أهميته مشاركة كبار المشايخ والمنشدين في إحياء الليالي الرمضانية، والمناسبات الدينية، والذي أدى إلى تزايد محبي هذا الفن فأصبحت له أشكال متعددة وأسماء كثيرة. حيث برز العديد من المنشدين في القرن العشرين أمثال الشيخ طه الفشني والشيخ سيد النقشبندي من مصر، والشيخ توفيق المنجد وحمزة شكور من سوريا، والشيخ حمزة الزغير وياسين الرميثي من العراق، ومن أبرز الشيوخ المنشدين الشاعر الحلبي الكبير الشيخ محمد الوراق.[12]

وبالنسبة لكل من المسنين والشباب، والمتدينين وغير المتدينين — حتى بالنسبة لغير المسلمين في الدول العربية — فإن تلاوة القرآن والأذان يعدان عناصر حضارية مهمة لا يمكن تجاهلها. وثمة كثير من المهاجرين من المسيحيين أو اليهود الذين نموا في الدول الإسلامية يعدّون تلاوة القرآن ودعوة المؤذن بعض العناصر الحضارية التي يتذكرونها تماماً ويفتقدونها من عهد طفولتهم.[13]

وقد تنوعت الأناشيد تبعاً للمكان، وطبيعة البلد، واختلاف لهجاته وألحانه وإيقاعاته، فعلى سبيل المثال في بلاد الشام ومصر تميزت بوجود تنوع كبير من تقاليد الإنشاد الديني فيها، حيث كان يتخلل الإنشاد الديني كثير من الحوارات الغنائية بين "المنشد الرئيسي" وبين مجموعة المنشدين من خلفه، وكان المنشد يتوسط الحلقة، ويلتف من حوله مجموعة "السّنِّيدة" بعد ذلك. وكان المنشد يختار مقطعاً من القصيدة أو جملة يجعلها محوراً تدور حولها كل الردود من "السنيدة" فيرددونها وراءه ثم يعودون إليها بعد المنشد.[14]

دوافع النشيد:

كان القدماء يغنون لآلهتهم التي اعتقدوا بأنها تُسيّر الظواهر والأحداث الطبيعية، وكانت العرب قبل الإسلام تلبي نداء الحج وتهلل حول الكعبة، ومن تلبياتهم ما كانت قبيلة نزار تردده في طريقها إلى مكة حيث ينشد أفرادها:

لبيك اللهم لبيكْ ... لبيك لا شريك لكْ
إلا شريكاً هو لكْ ... تملكه وما ملكْ

ولقد أنعم الله على العرب بالإسلام، الذي سمح لهم بالتلبية والتهليل في مناسك الحج معدلاً التلبية والتهليل بما يتناسب والعقيدة الإسلامية. ولقد سار المسلمون في أمصارهم على الاحتفال بالأعياد، والمناسبات الإسلامية بالغناء من إنشاد أناشيد دينية مختلفة المواضيع بالعامية والفصحى، كما استفاد المربون والمعلمون العرب من موهبة الغناء والنشيد في تعليم الأطفال الفكر والأصول الإسلامية وتثبيتها في نفوسهم.

ويرى جوزيف البدوي أن الإلهام الحقيقي لتأليف النشيد في العصر الحديث يتمثل في الحركات الوطنية والحروب والثورات وحركات التحرر ضد الاستعمار. فبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٧م، وتعبيراً عن مناداة الشعب المصري بالاستقلال وحقه بالحرية وضع الفنان سيد درويش نشيده الأول:

قُوْمْ يا مَصْرِيْ ... مصر دايماً بِتْنَادِيْكْ

خُذْ بِنَصْرِيْ نصريْ دَيْنْ واجبْ عليكْ

وإبان ثورة مصر سنة ١٩١٩م ووسط هتاف المتظاهرين الذين رددوا وراء سيد درويش الذي لقب بفنان الشعب عبارة "بلادي بلادي لك حبي وفؤادي" أصبح هذا الشعار المأخوذ أصلاً عن مصطفى كامل، أول نشيد عربي اعتُمد رسمياً نشيداً للدولة حيث عُمِّمَ في أكثر من بلد عربي.

ثم تلتها نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م التي أجّجت الشعور الوطني والفني، فقد ألهمت الشاعر علي محمود طه بقصيدته:

أخي جاوز الظالمون المدى فحقَّ الجهاد وحقَّ الفدى

أنتركهم يغصبون العروبة مجد الأبوة والسؤددا!!

ويصور النشيد والأغنية الوطنية الواقع العربي الحديث في حيثياته الثقافية والتقنية والسياسية والعسكرية، وبعدما كان النشيد أو الأغنية تتغنى بالحاكم أو الزعيم أضحت موضوعاً وطنياً يعالج العزة والعنفوان، ويحث على القتال بحماسة والعودة إلى الأرض المغتصبة. والملاحظ منذ ثمانينيات القرن العشرين اندثار الأغنية الوطنية العربية عامة إلى درجة فقدانها – باستثناء بعض الأعمال التي تظهر من حين إلى آخر – لتظهر مكانها الأغنية السياسية الانتقادية، كظاهرة الشيخ إمام في مصر ومارسيل خليفة في لبنان.[15]

الأناشيد والتعليم: يرى الكاتب أمجد قاسم أن الأناشيد أصبحت تُستخدم لتثبيت التوجيهات التربوية التي تدعو إلى الفضائل في التعامل مع الآخرين، وجعل التصرفات اللائقة عادات راسخة يقوم بها الفرد بصورة تلقائية بعد اكتسابها في مراحل مبكرة من عمره. ولم تخل طرق التدريس القديمة من وسائل التعلم التي أثبتت نجاعتها، فالعرب صاغوا كثيراً من قواعد اللغة وكثيراً من الموضوعات في أشعار ينشدونها ومن أمثلتها ألفية ابن مالك.[16]

الابتهالات الدينية: يوضح الشيخ فوزي عبد الغفار المبتهل المعتمد بالإذاعة المصرية عام ١٩٨٨م أن الابتهال مدرسة تقوم على أساس وجود فرقة تبدأ من ثلاثة إلى عشرة أفراد والذين يرددون نفس المقطوعة[17] التي يتم تأليفها بواسطة كبار الملحنين، مشيراً إلى أن الابتهالات الآن عبارة عن فن ارتجالي، أي يقوم به مبتهل منفرد بدون ألحان، ويشير إلى أن ٥٠٪ من المبتهلين الآن لا يجيدون المقامات الموسيقية. ويرى الشيخ علي الزاوي المعتمد في الإذاعة عام ١٩٧٢م، أن عودة الابتهال إلى ما كان عليه يتطلب إجادة المبتهلين للمقامات الموسيقية على حدة، وفي نفس الوقت حفظ القرآن الكريم، مشيراً إلى أنه حفظ القرآن على يد الشيخ أحمد عامر ودرس الموسيقى على يد الشيخ علي محمود.[18]

ويعتقد السيد نجم أن الآراء قد ذهبت إلى أن الإنشاد الديني عموماً، أكثر ضروب الغناء صرامة وثباتاً في الاحتفاظ بالطابع القومي للشعوب ... لأنه أقل من غيره عرضة للمتغيرات المستمرة بفعل عدم ثبات الذوق العام، وتقلب الأهواء، بل ونزوات الفنانين أنفسهم.[19]

وأما في **المجال الترفيهي**: فإن الأغاني والأناشيد إلى جانب أنها ذات فوائد عظيمة للتربية وارتقاء الحس والذوق، فإن لها فوائد كبيرة على النفس البشرية، خاصة في الترويح عن النفس، أو حتى في تغيير حالة الإنسان النفسية من حالة إلى أخرى، فقد يكون الإنسان حزيناً مبتئساً فيسمع نوعاً من الأغاني والأناشيد فيخفف عنه ويريحه، وقد تنقله الأغاني والأناشيد إلى وضع فيه حيوية وفرح ينسيه ما كان فيه من حزن وبؤس.[20]

وهكذا فقد صار النشيد يتميز عن سائر الفنون بأنه يهدف إلى البناء: يعني بناء الأسرة وبناء الذات وبناء حسن المعاملة مع خالقنا جل جلاله، ويعدّ ذلك من خلال أمرين هما: الصوت الحسن والكلمة الطيبة المختارة في الإنشاد.

النشيد الإسلامي:

يؤكد المنشد محمد مصطفى مسقَّقَة المشهور بأبي راتب أن كل نشيد ملتزم بالمنهج الإسلامي والفكر الإسلامي والرؤية الإسلامية هو نشيد إسلامي، وهو يرى أن النشيد الإسلامي يختلف عن النشيد الديني الذي كان مقترناً بالجلسات الصوفية، وهو يؤدَّى عادة في دور العبادة وكثير منه يحتوي على مغالاة غير مقبولة شرعاً، أما النشيد الإسلامي فهو أعم لأنه يشمل الابتهال والمديح والأناشيد الحماسية والفكرية والدعوية والحياتية. ومن ناحية ثانية فالأنشودة الإسلامية أصبحت تنطق بفكر الصحوة الإسلامية والحركة الإسلامية، وتغني آلام الأمة وآمالها، وتعاصر وتواكب الأحداث التي أصابت الأمة الإسلامية منذ ١٩٧٠م حتى الآن.[21]

وفي حوار مع المنشد الأقدم محمد منذر سرميني المشهور بأبي الجود قال: الخلاف الأساسي الذي بيننا وبين المغنين هو الكلمة، فالكلمة الملتزمة والهادفة هي التي تحكم هل هذا نشيد أم غناء، وبمجرد أن يتخلى النشيد عن الكلمة الملتزمة أصبح غناء، حتى ولو بدون موسيقى، فالفاصل بيننا وبين المغنين هو الكلمة.[22]

ويقول الشيخ د. عصام بن عبد المحسن الحميدان أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الملك فهد بالظهران عن الأناشيد الإسلامية: هي من الفن الإسلامي، فلابد أن تكون سليمة مما يخالف الشرع الإسلامي كالقيم التي تحث على مكارم الأخلاق أو تحث على بر الوالدين، أو تحث على حماية الأوطان من الأعداء، فيجب أن تكون بأساليب واضحة ليس فيها مخالفة للشرع الحنيف، مثل ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم في الشعر: (حسنه حسن، وقبيحه قبيح)[23] وهو البديل عن تلك المشاهد السلبية التي نشاهدها على الشاشات الفضائية.

والفن في ساحة الإعلام ليس ترويجاً فحسب لطرف ضاحكة، أو أفلام ماتعة، أو أنغام ساحرة، بل هو إعادة صناعة للإنسان وسلوكه وفق تصورات وتوجيهات أصحابها.

إن فطرة النفس التي يفسدها الغشاشون الماكرون لابد أن توقظها وتحييها روائع الإعلاميين والفنانين أصحاب الرسالة.

إن معهم الإسلام الذي فتح لهم كل الأبواب ليلجوا من خلالها إلى قلوب الناس وينفذوا إلى ساحاتهم مبلغين.. كل ساحات الدنيا لهم حلال.

إن الفن عندنا حق وحقيقة، فحقيقة إسلامنا المرح والفرج والابتهاج، والرياضة واللهو البريء، والمشاركة الاجتماعية، وسعادة البشرية، وتعليم الإنسانية. وهو الحق لتبصير الناس بقضايانا وهمومنا ومقدساتنا ورؤانا وعدلنا وسماحتنا.. وإدارة الصراع اليوم بيد الإعلام وأرباب الفن، أفلا ندخل دائرة الصراع بالحق؟ فإن الحق حين ينتصر تتغير حياة الناس من أعماقها.[24]

ويترافق الأدب الإسلامي بشقِّه الشعري مع النشيد الإسلامي، ويعضده ويقويه ويمده ويثريه، والأدب الإسلامي المعبر عن وقع الكون على الإنسان المسلم بكل دقائقه، يستقبله النشيد فيصوغه لحناً جميلاً يطرب الأسماع، وتردده الألسنة، وتحتفظ به الأفئدة، لسهولة الحفظ مع اللحن.

ويقول الأستاذ سليم عبد القادر زنجير كاتب كلمات معظم أناشيد أبي الجود في مقدمته لكتاب "نشيدنا": لقد حاولنا باختصار أن نجمع في نشيدنا التوازن بين شتى نواحي الإسلام، إضافة إلى العمق ... العمق في المشاعر والتصورات والرؤى. إضافة إلى مشاركة عناصر الطبيعة الجميلة وكلها مخلوقات الله، تسبح بحمده وتقدس له ... وله نشيدة "نشيدنا" أفضل ما نعرف به هذا النشيد.[25]

ويقول محمد العمري في كتابه "الفن المعاصر": إني لأسجل كلمة للتاريخ: على طول قراءتي واتصالي بهذا الموضوع – يقصد الفن الإسلامي – تأصيلاً ومتابعة لما كتب، رأيت من النادر من جمع في كتابته بين التأصيل الشرعي، والاستقصاء الجمعي، والتحقيق العلمي، والفهم المعرفي، هذا عدا من بدَّع الحديث في الفن الإسلامي.[26]

ونحن في بحثنا هذا لن نتطرق إلى حكم الأناشيد الإسلامية من الناحية الفقهية وارتباطها بالموسيقى أو الإيقاع أو خلوها منهما، فكل ذلك يعود إلى رأي العلماء ونظرتهم الفقهية التي يُبحث عنها في مظانها من كتب الفقه[27]، ونحن نقصد ببحثنا هنا النشيد الإسلامي كونه شعراً يُختار ويُنتقى ليَخضع للحنٍ ما، ثم يقدّم للسامعين بنغم جميل، يطرب ويجذب. ولن ندخل في تحريم أو تحليل الموسيقى أو نورد أي رأي فقهي في هذه الأمور لأنها محل جدل وخلاف وليست من هدف هذا البحث، وسنستخدم مصطلح "النشيد الإسلامي" في بحثنا هذا بهذه الدلالة المذكورة.

كتب الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – عام ١٩٥٤م، مقدمة لمجموعة من الأناشيد الدينية للشاعر محمود أبو الوفاء، وضمنها معنى الأناشيد الإسلامية اليوم، وقال: "هذه الطبعة الجديدة من الأناشيد، قد تمت بناءً على رغبة بعض العاملين في حركة الإحياء الإسلامي، لتنتفع بها ناشئة الإخوان المسلمين، أو ينتفع بها غيرهم ممن يريد أولياؤهم أن ينشؤوا في ظلال الإيمان، أو يتذوقوا حلاوة روح الدين.[28] وكان لهم ما أرادوا من انتشار الأناشيد بين الشباب المسلم فيما بعد ليس في مصر فقط، ولكن في كثير من البلدان العربية وغيرها، إلا أن فكرة الأناشيد لم تكتمل بصورتها الحاضرة قبل العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري.[29]

يقول عبد الله ناصح علوان في مقدمته لكتاب "نشيدنا": "في تقديري وتقدير أصحاب البصائر النيرة أن هذا الإنشاد الذي انتهجه الأخ منذر، والأخ البربور[30]، والأخ أبو مازن[31] ... ومن سار سيرهم، ومشى على دربهم ليس من قبيل التسلية المباحة، والترفيه الحلال ... وإنما هو أسلوب جديد من أساليب الدعوة إلى الله عز وجل، يحرر المسلم من العبودية لغير الله عز وجل، ويربطه بالأمجاد والتاريخ، ويدفعه إلى الجهاد الدائم، والعمل المتواصل لبناء العزة الإيمانية في أرض الإسلام، ويثير في نفسه مشاعر دعوية، وأحاسيس إسلامية ... لمتابعة المسيرة في طريق الدعوة إلى الله حتى يأذن الله بالنصر المؤزر، والفتح المبين، ويصعّد من أعماقه آهات من الحزن والألم على الحالة المتردية الأليمة التي وصلت إليها المجتمعات الإسلامية في عصور الانتكاس والضلال!! هذا عدا عن إخراس الأغاني الخليعة التي بثها أمواج الأثير في البيت المسلم لوجود البديل الجيد الذي تبثه حناجر منذر والبربور وأبي مازن،، بما يخرجونه للناس من إنشاد هادف، ووصلات دعوية مؤثرة."[32]

عقبات في مسيرة النشيد الإسلامي:

يرى أبو راتب أن مسيرة النشيد الإسلامي تواجه عقبات جدية تحتاج لمعالجة ومواجهة، وهي:

1 . عدم اهتمام وسائل الإعلام الرسمية وحتى الخاصة بنشر الفن الراقي.

2 . عدم نضوج بعض المنشدين في تقديم اللحن الصحيح والكلمة الجميلة.

3 . قلة عدد مؤلفي الأناشيد الإسلامية فهم ليسوا بالحجم الكبير كما هو الحال بالنسبة للأغنية العربية. بينما يرى أبو الجود أن هناك مشكلة (غياب الشاعر) الذي يتقن تأليف الأنشودة.

4 . زهد بعض المربين والعلماء للأسف في تأصيل هذا الفن، فحتى الآن يوجد خلافات حول مشروعية هذا الفن ...لذلك يجب على علمائنا أن يؤصلوا لهذا الأمر ويدرسوه ليتاح المجال أمام من يملك صوتًا جميلاً ونضجًا فكريًا أن يدخل هذا المضمار وأن يطور في هذا الفن سواء كان شخصًا، أو مؤسسة صغيرة تقوم بإنتاجه، وحتى الآن لا يوجد نضوج مؤسساتي كبير حول هذا الفن.

5 . النشيد الإسلامي ما يزال عملاً فرديًا أو مؤسسيًا خاصاً ولم يصل إلى العمل الجماعي ... ومع ذلك فالحمد لله رب العالمين بدأنا نشاهد ظهور بعض المؤسسات مثل مؤسسة سنا وسفير المصرية، ولكن لا بد أن تكثر المؤسسات لتكون بالعشرات، بل بالمئات حتى يتطور هذا الفن، وأيضًا فن المسرح الإسلامي وحتى يظهر فن إسلامي متكامل.

6 . الانقطاع بين الفنانين والعاملين في مجال النشيد الإسلامي، بعبارة أخرى هناك كثير من المنشدين لا يذهبون إلى ملحن ليأخذوا اللحن ونفس الشيء بالنسبة لكتاب الأغنية، ولكن بدأت الآن تظهر بعض بوادر لذلك التعاون المفقود فأصبح المنشدون يأخذون ألحانهم من ملحنين ويستكتبون مؤلفي الأغاني ولكن ما يزال هذا الحال يشكل عائقًا أمام انتشار وتطوير الأنشودة الإسلامية.

7 . بعض المنشدين (وليسوا كلهم) في وضع ثقافي فني متدنٍ، فلا بد للفنان المسلم والمنشد أن يعلم المقامات والعلوم الموسيقية حتى يستطيع أن يطور نفسه ويؤدي بطريقة صحيحة (مُثلى) فلا يؤدي نشازًا أو ارتجالاً، ولا بد أن يستخدم ويختار اللحن الصحيح والكلمة الصحيحة.

8 . وأبو الجود يرى الوضع الثقافي من ناحية فأخرى فهو يقول: "... هناك غياب الثقافة عند المنشد، الثقافة التي تعينه على حسن اختيار القصيدة ... وبالتالي نجد أن المنشد يميل إلى القصيدة المكتوبة بالعامية. والمشكلة الأخرى أنه يناصر هذا الشيء، وأنا برأيي أن هذا سد للعجز ليس أكثر، والإنشاد باللغة العامية ساقط منذ بدايته."

المقاصد المرتبطة بحال مستمع الأناشيد وقصده: يختلف حال المستمع للأناشيد من شخص إلى شخص آخر، ولكن من أبرز المقاصد لسماع الأناشيد ما يلي:

- الاستعاضة به عن الأغاني الخليعة المحرمة، لاسيما لمن اعتاد سماعها.
- الترويح عن النفس، ودفع السآمة، والملل حين الضعف والخور.
- إثارة المعاني الإيمانية وتحريكها كالخشية والإنابة وترقيق القلب وتذكر الآخرة بسماع الأناشيد الوعظية الزهدية.
- الاستعانة بالأناشيد على أداء العمل وقطع المفاوز البعيدة دون ملل.
- اتخاذها وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله يتوب بها العصاة.
- الإطراب واللذة بسماع ألحان النشيد، وما يصحبه من آلة دف إن وجد.
- إظهار الطابع الإسلامي للمناسبات الاجتماعية والتعبير عنه بالأناشيد الإسلامية، كالأعراس والحفلات.[33]

المدارس الإنشادية الإسلامية:

ترى الباحثة فاطمة عبد الرؤوف في مقالها المعنون بـ"النشيد الإسلامي ... الفن في المواجهة" أن الصحوة الإسلامية قد أبدعت فن النشيد الإسلامي، وجعلته وسيلة من أهم الوسائل التي تواجه بها قضاياها وقضايا أمتها الإسلامية ... ولقد أعاد النشيد الإسلامي الشعر العربي إلى عرشه الذي داسته قصيدة النثر وشعراء العامية... ولو لم يكن للنشيد الإسلامي إلا دعمه للغة العربية الفصحى لكفى بهذا إنجازاً في زمن احتل التغريب مساحة كبيرة من العقل الثقافي

الجمعي، وأصبح الناس يتهافتون على تعلم اللغات الأجنبية وتعليمها لأبنائهم، وجعلها اللغة الأساسية في التعليم. فأصبح كثير من الشباب مغتربين عن اللغة العربية متباعدين عنها، بل ربما حتى لا يفهمونها، فجاء النشيد بمثابة خطوة إحيائية مهمة.

وأكثر ما يميز النشيد الإسلامي من جهة المضمون هو اهتمامه بواقع الأمة الحالي وعمله على رفع وتحفيز الأمة للنهضة، والتذكير بالمجد التليد الذي كان، والجرح الأليم الذي ينزف، وإشعال جذوة الجهاد في النفوس التي ركنت للأرض طويلاً طويلاً.[34]

وقد ظهرت كثير من المدارس الإنشادية في البلاد العربية وأولى هذه المدارس بدأت من سوريا وكانت الدائرة الأولى للرواد، ومن أبرزها وأقدمها مدرسة أبي مازن وهي المدرسة الحماسية التي تغني لشعراء الدعوة بأسلوب حماسي مثل: قصيدة الشاعر هاشم الرفاعي التي بعنوان: زوجة شهيد، وتليها مدرسة الترمذي[35]،ومدرسة أبي الجود التي انتقل فيها إلى إدخال النوع الطربي في النشيد الإسلامي الحماسي، وذلك قد يكون تأثراً بالبيئة الحلبية التي ينحدر منها أبو الجود وتميز أهل حلب بحبهم للطرب وذوقهم الراقي المعروف، يتبعهم أبو دجانة[36] الذي ترك بصمات في النشيد الإسلامي وأرخ للحوادث التي كانت تمر في تلك الفترة من الثمانينات من القرن العشرين التي كانت تشهد في سوريا حراكاً ثورياً.

كان المنشدون الأربعة "أبو مازن، أبو الجود، أبو دجانة، الترمذي" يتمتعون بمستوى فني عالٍ، من ناحية الصوت والألحان، فكانت لأناشيدهم وقع السحر على آذان الجمهور الإسلاميين ولاقت أشرطتهم ترحيباً وانتشاراً واسعاً. ويوازي المستوى الفني لأبي راتب المستوى الفني لسابقيه.[37]

فالأستاذ نجدت لاطه يبين أن أول شريط للنشيد الإسلامي صدر عام ١٩٦٨م على يد المنشد السوري أبي مازن، ثم تبعه الشيخ أحمد البربور ثم أبو الجود ثم الترمذي، وأبو دجانة، حتى عام ١٩٨٠ حين توقف هؤلاء عن إصدار أشرطة جديدة.

وفي عام ١٩٨١م بدأ أبو راتب وعمره ١٨ سنة في إصدار أشرطة نشيد إسلامي، ويمكن القول بأن أبا راتب بدأ ينقل النشيد الإسلامي من مدرسة النشيد الإسلامي الحماسي إلى مدرسة فكر وشمولية في التعبير عن هموم وآمال وآلام الشعوب الإسلامية كلها، كفلسطين وكشمير وأفغانستان والشيشان وغيرها، وقد نقل النشيد إلى حركة منظمة لها أسس وقواعد، ثم أنشأ المؤسسات الفنية التي تهتم بإصدار الأشرطة، وأقام عدة مهرجانات خاصة بالنشيد، ودرّب الفرق الإنشادية، وشارك في مسرحيات إسلامية كان لإنشاده فيها الدور الأكبر في نجاحها.

ويرى الأستاذ سليم عبد القادر زنجير أن أبا الجود يبقى أحد أبرز هؤلاء المنشدين، لما أتيح له من قوة الموهبة في الصوت والأداء والألحان، وهو الوحيد الذي تيسر له شاعر إلى جنبه في الفرقة. وفضل أبي راتب أنه حمل الراية وحده لعقد كامل ويمثل بمفرده الجيل الثاني من المنشدين. ولعل المدرسة الشامية كان لها قدم السبق، وذلك من جميع الجهات: الكلمات، والألحان والأصوات.

ومن الطبيعي أن هذه المدارس كمّلت بعضها ورسخت لنشأة مدارس جديدة وكثيرة في مختلف أنحاء الوطن العربي والإسلام،

فنشأت كثير من الفرق الإنشادية والمنشدين الذين نجدهم اليوم منتشرين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ومن هذه الفرق والمنشدين:

- في سوريا: أبو مازن، أبو الجود، البربور، أبو دجانة، الترمذي، أبو راتب، يحيى حوى، عماد رامي، حسن الحفار، فايز الحلو، مازن السعدي، أحمد ويوسف المزروع، عماد رامي، عدنان الحلاق، عبد القادر المرعشلي، معتصم بالله العسلي، زكي العسلي، موسى مصطفى، هيثم الحلبي.

- في الأردن: فرقة الروابي واليرموك وبدر والبراء، غسان أبو خضرة، أيمن رمضان.
- في مصر: توجد فرقة الندا وشروق، ومن المنشدين المعروفين: أبو عابد "زين العابدين الكحكي"، رامي محمد.
- في اليمن: كانت المعاهد العلمية في اليمن لها تبنٍ لفن النشيد ودعم واضح ومن الفرق المعروفة: فرقة الإسراء والصحوة. ومن المنشدين: عبد القادر قوزع، هاني مقبل.
- في السعودية: فرقة محمد المساعيد، وأناشيد الشفاء، وأناشيد المعهد العلمي التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود بجدة. وفرقة "نداء وحداء" التي تميزت بالألحان الجديدة، الجامعة بين المدرسة الشامية الهادئة الإيقاع، والخليجية السريعة، مع تنوع نسبي في المواضيع. إلا أنها لم تبتعد كثيراً عن قضايا الأمة وهموم شباب الصحوة ونشاطاتهم. ومن المنشدين: سعد الغامدي، ماجد العثمان، سمير الزهراني، عبد العزيز عبد الغني، محمد العمري، موسى العميرة، سمير البشيري، أبو مهند الشمري.
- في الكويت: عائلة البني: "عمران البني ثم أخواه من بعده عمار وعاصم البني"، وأشرطة الفجر بقيادة: نزار أبو الفدا، وسلسلة أشرطة صلاح لدين بقيادة: أبو عاصم،ومشاري العرادة[38]، عادل الكندري، إبراهيم السعيد، عبد الفتاح عوينات، محمد الحسيان[39]، ميس شلش، مشاري بن راشد العفاسي، حمود الخضر، أحمد الهاجري، وأبو أنس، وأبو الحسن.
- في الإمارات: أحمد بو خاطر، أسامة الصافي.
- في العراق: محمد العزاوي.
- في لبنان: مصطفى الجعفري.
- في قطر: عقيل الجناحي.
- في البحرين: الدكتور سامي قنبر وجاسم هجرس وفرقة جمعية الإصلاح.
- في الجزائر: فرقة الصحوة.
- تونس: عبد القادر محمد (قدور لرتيستو)[40].
- في بريطانيا: يوسف إسلام[41]، وسامي يوسف.
- في السويد: ماهر زين.
- في فرنسا: فرقة صمت المساجد، وفرقة سلام عليكم.
- في أمريكا: فرقة Native Deen التي تعني "دين الفطرة"، وفرقة النجوم والمنشد أبو الحسن وأبو أيمن.

وهناك منشدون آخرون منتشرون في كافة أنحاء المعمورة مثل تركيا والشيشان وأفغانستان وغيرها وبلغات مختلفة وأصوات جميلة وألحان رائعة، لا يمكن لهذا البحث أن يلم بأسمائهم كلهم.

أما رابطة الفن الإسلامي العالمية التي لأول مرة جمعت في المنطقة الخليجية كبار المنشدين من كل أنحاء العالم، وعقدت المؤتمرات العلمية، وأصَّلَتْ من الناحية الشرعية العمل الإنشادي والفني وما يحيط به، فقد ساهمت في تشجيع الجادين والعاملين من خلال جائزتها العالمية الكبرى "جائزة الشباب العالمية لخدمة العمل الإسلامي"، وطبعت الكتب والدوريات ورعت الدورات الخاصة بهذا المجال، وشجعت على إنشاء قنوات خاصة بالنشيد الإسلامي.

قنوات النشيد الإسلامي:

في بحث للدكتورة رحيمة الطيب عيساني المحاضرة في جامعة باتنة بالجزائر بعنوان: "اتجاهات الشباب الجزائري نحو الفضائيات الدينية الإسلامية ودورها في توعيته ضد التطرف والتعصب"، وجدت الباحثة أن من ضمن القنوات

الفضائية التي تقدم الأناشيد: قناة المجد للأطفال، وقناة الفجر، وقناة شدا، وقناة طيور الجنة، وتتميز من هذه القنوات: قناة شدا، وهي قناة متخصصة في بث الأناشيد والأغاني الإسلامية، وبدأ بثها في ٢٠٠٦م، وتقوم القناة بإعداد برامج لتنمية واكتشاف المواهب المتميزة في الإنشاد الديني، وتسعى إلى بث المعاني الفاضلة والمضمون النبيل من خلال الكلمة الطيبة المعبرة ومن خلال اللحن والأداء الجميلين، لتكون "شدا" البديل المناسب الذي يحترم العقول، وينشر الفضيلة، ويحافظ على الذوق والفطرة السليمة بعيداً عمّا يستخف بالعقول ويشوه الأمزجة ويفسد الأخلاق والأذواق ويثير الغرائز. ومن هنا جاءت قناة شدا الفضائية لتنفرد بكونها القناة الأولى في ميدانها، ولتضع لنفسها قاعدة راسخة في عالم البث الفضائي، متخصصة بكل ما يتعلق بالنشيد الإسلامي، ولتكون النافذة المقبولة للمجتمع المسلم والأسرة الملتزمة، ومن أشهر برامجها، سمعنا صوتك، شدا مع كل الناس، ألوان شعبية، منوعات إنشادية.[42]

أشهر شعراء النشيد:

تميز شعراء الأدب الإسلامي بأنهم الشريحة الأكثر قبولاً عند المنشدين وملحنيهم، وذلك للتوافق المشترك بين المبادئ والأفكار والأهداف والمشاعر والإحساس من الشعراء والمنشدين والجمهور المستمع. ولعل أبرز السمات المطلوب توفرها في الأشعار المختارة للنشيد هي الإيقاع والموسيقى الشعرية، التي ستساعد الملحن في اختيار نغم جذاب وجميل، فليس كل شعر يصلح للنشيد.

ومن أبرز الشعراء الذين اختيرت أشعارهم للإنشاد: العلامة محمد إقبال، وليد الأعظمي، محمود صيام، يوسف القرضاوي، عمر بهاء الدين الأميري، هاشم الرفاعي، يحيى الحاج يحيى، محمد عيسى سلامة، سليم عبد القادر زنجير، عبد الرحمن العشماوي، وغيرهم ...

وسنكتفي هنا بذكر اثنين من المنشدين -لأن البحث لا يتسع لأكثر-وهما: أبو الجود وأبو دجانة، فهما مثال حيٌّ للمنشدين في اختيارهم للأشعار التي ينشدونها، فهما اختارا من الأشعار ما فيها تعبير عما يعتمل في قلب المسلم من مشاعر وآمال وآلام أينما كان، فجمعوا بين الكلمة الهادفة واللحن الجميل ليوظفوه في خدمة الدين، وسنركز في مجموعة أبي الجود القديمة التي تتكون من سبعة أشرطة مسجلة كلها قبل الثمانينات من القرن الماضي، لأنها أصبحت بعد ذلك مثالاً يُحتذى به ومقياساً لما بعدها من الأشرطة والأناشيد، مع أن أبا الجود مستمر إلى يومنا هذا في إصدار أناشيد جديدة إلا أن تلك الفترة الزمنية كان لها من الخصوصية أنها هي البداية والمنطلق لكل مَنْ جاء بعدها، وأنه لم يكن في متناوله في ذلك الوقت هذا الكم الكبير من الشعراء الإسلاميين، مقارنة بيومنا الحاضر، ومع ذلك فقد استطاع أبو الجود أن يثبت أقدامه وينطلق ويبني بناء ملفتاً للأنظار، موقظاً فيه كثير من المواهب عند المنشدين الآخرين، وبالقليل القليل الذي كان بين يديه، ونرى أن أبا الجود في كثير من الأشرطة كان يعتمد على الأشعار التي كان يكتبها بنفسه أو يكتبها زميله الشاعر سليم عبد القادر زنجير، أو أنهما كانا يجلسان معاً ويتشاركان في كتابة أنشودة ما.

أما أبو دجانة فإن اختياره للأشعار يدل على ذوق فني وإحساس راقٍ عنده، والمتمعن في القصائد التي اختارها سيجد أنها شديدة الارتباط بواقع الأمة في ذلك الوقت، بآماله وآلامه، ولم تكن في معزل عما يحدث في بلاد المسلمين، فأشرطته صدرت في وقت كانت الأزمة مشتعلة بين الحكومة والإسلاميين في سوريا، وباختياراته الشعرية كان خير مدوّن لذلك التاريخ، وأصدق مصوّر لمشاعر المسلم في تلك الفترة الزمنية، فبأناشيده تلك استطاع أن ينشر ويذيع تلك الأشعار، فأصبحت تلك الأشعار بمعانيها العميقة تدور على كل لسان، وفي كثير من الأحيان كان الشاعر مجهول الهوية عند كثير ممن يرددون هذه الأناشيد ويحفظونها، ولعل المنشدين أبا الجود وأبا دجانة كان لهما الفضل الكبير في هذا.

عمر بهاء الدين الأميري: الذي يُوصف بـ (شاعر الإنسانية المؤمنة)، وله شهرة إسلامية عالمية، ومن أشهر ما يتعلق بالأميري ديوانه "مع الله" الذي كان له صدى كبير في سماء الأدب العربي الحديث، وديوانه "أب" الذي سُمي على عنوان قصيدته "أب" التي تعدّ كما قال عنها العقاد في ندوة من ندوات منزله في ١٣٨١هـ: "لو كان للأدب العالمي ديوان من جزء واحد لكانت هذه القصيدة في طليعته ..."[43] وقد كان الأميري شديد العناية بالمعاني الإيمانية، وقد عبّر عنها في كثير من قصائده، وكان بشموليته وسعة أفقه، وعمق إحساسه، وجميل تعبيره، من أصدق الشعراء الذين استطاعوا أن يعبروا عن آلام الأمة الإسلامية وآمالها وأحلامها. ولد الأميري في مدينة حلب في شمال سوريا ١٩١٦م، وتوفي في الرياض ١٩٩٢م، عمل في التعليم داخل سوريا وخارجها، وعمل في حقل الدبلوماسية حيث أوفد وزيراً مفوضاً فيها إلى باكستان، ثم سفيراً في المملكة العربية السعودية، وتقلد منصب أستاذ كرسي الإسلام والتيارات المعاصرة في دار الحديث الحسنية في الرباط/ المغرب، وعمل أستاذاً زائراً في السعودية وقطر والكويت والإمارات، وله أكثر من أربعين ديواناً مطبوعاً[44].

ومن القصائد التي اختارها أبو الجود ولحنها وقدمها نشيداً، ما يلي:

1. قصيدة "شكوى" مطلعها: قلبي وهم الكون في خفقاته نادى وما في كونه من يسمع[45]
وهي الأنشودة الأولى من الشريط الثاني لأبي الجود.

2. قصيدة "شعاع" ومطلعها: تأملت في كنه هذا الوجود وغصت على كشف أسراره
فجبت الوهاد وطفت النجود وجلت بأجواء أنواره[46]

وهي الأنشودة الثانية في شريطه الثاني.

3. قصيدته "صلاة" ومطلعها: كلما أمعن الدجى وتَحَالَك شِمْتُ في غوره الرهيب جلالك
وتراءت لعين قلبي برايا من جمالٍ، آنستُ فيه جمالـك[47]

وهي النشيدة التاسعة في شريطه الثالث.

4. مختارات من قصيدة "في أسر الحياة" التي مطلعها: رباه قد ضج الألم والكون نام ولم أنم[48]
وهي الأنشودة الخامسة في الشريط الخامس.

5. قصيدة "صلة" ومطلعها: الحجر الأسود قبلته بشفتي قلبي وكلي وله
لا لاعتقادي أنه نافع بل لهيامي بالذي قبَّلَه[49]

وهي الأنشودة العاشرة في شريطه الخامس.

أما أبو دجانة فقد اختار من أشعار الأميري قصيدتين متتاليتين وهما من خماسيات الأميري، وهما:

1. قصيدة بعنوان: عمرة، ومطلعها: عبدك يا رباه لبّى واعتمر
طوف بالبيت العتيق وذكر

2. وقصيدة بعنوان: دعاء، ومطلعها: أدعوك يا ربِ من روحي ووجداني
أدعوك من قلب آلامي وأشجاني[50]

دراسة فنية لنص مختار من الأناشيد الإسلامية:

اخترنا قصيدة الأميري الخماسية التي عنوانها (شُعاع) لنحاول تقديم أبرز ما تتميز به هذه القصيدة من الناحية الموضوعية والناحية الفنية، يقول الأميري فيها:

تأملتُ في كُنه هذا الوجودْ
وغُصتُ على كشف أسرارهِ

فجبتُ الوهادَ وطُفتُ النجودْ
وجُلتُ بأجواءِ أنوارِهِ
وفكّرتُ في نحسِهِ والسعودْ
وفي خيّرِيهِ وأشرارِهِ
وإذْ كادَ يعرو شعوري الجمودْ
ويَثنيهِ عن سَبْرِ أغوارِهِ
تلألأَ لي من خفايا الخلودْ
شعاعٌ؛ فصِحتُ بإكباره!
أنرْ لي فؤادي عندَ السجود
فأنت الخبيرُ بأطوارِهِ

الجانب الموضوعي:

ينطلق النشيد الإسلامي من أركان العقيدة الإسلامية وروحها، ولا بد أن يحقق المعاني الكبيرة والأهداف الرئيسة التي يحملها، والتي ترفع من مستوى البشرية في جميع جوانبها: النفسية والعقلية والفكرية والإيمانية والعملية السلوكية... فالدعوة (للتأمل) في الكون والوجود وحقيقته لكشف الأسرار والآيات والدلائل والمعجزات لا تبتعد عن أول دعوة سماوية للإنسان، ألا وهي (اقرأ)، فقراءة القرآن، وقراءة الكون بكل ما فيه لا تتم إلا بالتأمل والتدبر والتفكر ... وكأن النشيد ينادي الإنسان ليأخذ مكانه في هذا الكون الفسيح، بكل ما يضمه ويحويه ويقود العالم الذي وُكِّل بإعماره، وينهض به بفكره العميق الذي لا بد أن يقوده للعمل والتغيير، فالقراءة ليست فعلاً آلياً؛ بل هي تدبر وتمعن وتقييم يتبعه تقويم... وبهذا يكون التأمل هنا أول خطوة في طريق التغيير وتحرير الإنسان من الجهل والخرافة، فبحجم هذا الكون الفسيح يمتد تأمل الإنسان ويتسع، ولا تحده حدود ولا تقف في وجهه الحواجز مهما كانت الأحداث من حوله، ومهما تعاقب الخير والشر في هذا الكون، ويبقى التأمل باباً مفتوحاً لينتقل الإنسان من خلاله إلى ما يهدئ الروع ... ويسكن الروح ... فهذا العقل الذي ملك أدواته وخبر صنوف الحياة لا يمكنه لوحده أن يصنع إنساناً ... بل يحتاج إلى شعاع من إيمان .. وقبس من نور ... وعلاقة موصولة دائمة بالخالق عز وجل، الذي خلق فأحكم خلقه، وهو الأقدر على فهم طبيعة البشر وما يحتاجونه، فالعقل يحتاج إلى قلب مفعم بالإيمان؛ ليتمكن من السير وفق قوانين الكون وشريعة الخالق، وهذا الإيمان لا يكون بالتفكر والتدبر فقط؛ بل بالعبادات والمناسك والأفعال، فالسلوك القويم ينبع من العقل المتأمل.

المظاهر الفنية:

أولاً: ظاهرة تكرار الفعل الماضي واتصاله بضمير المتكلم: (تأملتُ، غصتُ، جبتُ، طفتُ، جلتُ، فكرتُ) ودلالة الماضي في الفعل تشير إلى الدلالة القديمة البعيدة التي جاءت بها الشريعة، فالتأمل لا يرتبط بالسكون والجمود بل بالحركة والسعي، فتتالت الأفعال التي تنسجم مع دلالة التأمل والتدبر، وتنوعت للدلالة على تنوع طرق التأمل وأدواته، فليس هناك طريق واحدة بل طرق متعددة، ومتنوعة، وواسعة بوسع هذا الكون.

غصتُ: النفاذ للعمق من أجل الوصول إلى المقصد.

جُبتُ: قطع المسافات طولاً وعرضاً، "أو قطعها سيراً".

طُفتُ: الانتقال حتى الإحاطة بالشيء.

جُلتُ: التطواف والتنقل.

فكّرتُ: إعمال العقل للوصول إلى نتيجة أو حل أو قرار.

كل الأفعال وتنوعها توصلنا للتفكير، فالنهاية لكل ما سبق هي الوصول إلى الهدف الذي لا ينتهي أو لا يتوقف ... لأن التأمل يقود إلى تأمل أعمق أو أوسع ... وهكذا ... لا ينتهي فعل التأمل ولا يتوقف ...

أما اتصال الضمير بالفعل: فيدل على الارتباط الوثيق بين الفعل والإرادة ... إن أردنا فعلنا ... فالتأمل لا يقف إلا إن وقفت الإرادة أو ماتت الهمة.

ثانياً: جاء التعبير عن شعاع الإيمان بـ (تلألأ) كذلك بالماضي ... للدلالة على أن غذاء الروح حاضر موجود ... هو فقط يحتاج إلى استدعاء ... وتناغماً معه جاء الفعل (صحتُ) كذلك بالماضي ... وكأن الإيمان مغروس بهذه الروح منذ الخليقة ... فعند حضوره استعادت الروح ماضيها معه ... وعرفت قدره ومكانته في سر وجودها ...

ثالثاً: جاء فعل الأمر (أنرْ): للدلالة على الطلب والدعاء ... فلا نور في الوجود إلا إن كان مصدره الخالق.

رابعاً: الحديث عن الكون والوجود لم يتكرر بلفظه، بل بالضمير العائد عليه بكل ما فيه ويحتويه: (أسراره، أنواره، خَيِّرِيْهِ، أشراره، أغواره) ليعيدنا في كل لفظة إلى ذلك الوجود ويربطنا به وبمكانتنا فيه.

خامساً: الجانب الإيقاعي

يتميز الإيقاع الشعري للنشيد الإسلامي بمناسبته للمضمون، فكما جاء النص الشعري ممتلئاً بالفعل والحركة، جاء الإيقاع الشعري منسجماً معه بإيقاعه الحيوي الذي يبعث النشاط والحركة. فالأبيات من بحر المتقارب التام (فعولن، فعولن، فعولن، فعول). وهذا البحر الشعري يتسم بأنه سلس متناغم، وبعضهم يصف نغمه بـ (الثوري)، كما أن للمتقارب خصوصية ألا وهي تقارب أوتاده بأسبابه، أي تقارب أجزائه أي تماثلها وعدم طولها، فكلها خماسية (فعولن) في الغالب، وهذا التناغم في البحر العروضي يجعلها منسجمة ومتوائمة في مستوى تحويل القصيدة إلى نشيدة ملحنة.

الخاتمة: قدّم هذا البحث النشيد الإسلامي وذلك بتناوله للمراحل التي مر بها وتطور عنها، وبيّن أهم مدارسه والعقبات التي تواجهه في العصر الحاضر، وأبرز المنشدين والقائمين على رعايته، في البلاد العربية والعالم كله، ثم انتقل البحث لأهم شاعر اختاره المنشدون ليعتمدوا على أشعاره في تقديم أناشيدهم وهو الشاعر السوري: عمر بهاء الدين الأميري رحمه الله، واخترنا المنشدَين المشهورَين: محمد منذر سرميني المنشد السوري المعروف بأبي الجود ومحمد خشفة المعروف بأبي دجانة، ومن أبرز ما وصل إليه البحث:

- ينبثق النشيد الإسلامي من روح الشريعة الإسلامية وتعاليمها وآدابها وروحانياتها.
- أهمية دور النشيد في بث روح الإسلام والشعور بالعزة والحماسة للعمل في رفع شأن المسلمين والعودة إلى دينهم، وإحياء الحس الإسلامي والترابط بين المسلمين في شتى أنحاء الأرض، والشعور بآلام وآمال الأمة الإسلامية.
- يواجه النشيد الإسلامي عدة عقبات من أهمها: عدم وجود الدعم الكافي وإهمال الحكومات الإسلامية له، في مقابل الدعم السخي للأغاني الخليعة والماجنة.
- بروز مدارس إنشادية ودورها في نشر النشيد ورفع مستواه وتطوره، ومن أبرزها: مدرسة أبي الجود، ومدرسة أبي راتب.
- أهمية الأدب الإسلامي وشعرائه في دعم النشيد الإسلامي ورفده بالأشعار المناسبة للنشيد، والتي تعبر عن آمال الأمة الإسلامية وآلامها، ومن أبرز الشعراء الإسلاميين: الأميري.

- الدور المميز (للنشيد السوري) المتمثل في نموذج: أبي الجود وأبي دجانة في نشر الشعر الإسلامي وإثراء النشيد الإسلامي في العصر الحديث.
- يعتمد النشيد على الألفاظ الإسلامية، والمصطلحات الدينية في بث مضمونه.
- يعتمد على المقطوعات الصغيرة وليس على القصائد الطوال، فهو يعتمد الإيجاز ليسهل تداوله وحفظه.
- يتكئ النشيد الإسلامي على اللغة العربية الفصيحة، ويبتعد عن العامية.
- يستخدم الصور الشعرية الإيحائية في نصوصه ولا يعتمد على الأسلوب الخطابي المباشر.

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الهوامش والمصادر:

[1]– ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب، ١٥جزءاً، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ط٣، ج٣، ص ٤٢٢.

[2]– صالح بن أحمد بن محمد الغزالي، حقيقة النشيد وحكمه، تقريظ وتعليق: الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين،١٤٣٠هـ، ص٤.

[3]– الحداء: سوق الإبل والغناء لها. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص ١٦٩.

[4]– النصب: ضرب من غناء الأعراب يشبه الحداء إلا أنه أرق منه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٧٦٢.

[5]– الغزالي، حقيقة النشيد وحكمه، ص ٤.

[6]– "الأناشيد والأغنية الوطنية في الموسيقى العربية"، جوزيف البدوي، مجلة "الموسيقى العربية"، تصدر عن المجمع العربي للموسيقى التابع لجامعة الدول العربية، تاريخ: ١٦ أكتوبر ٢٠١٧م.

[7]– النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، السنن الكبرى، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٦هـ)، رقم الحديث: ٣٣٦.

[8]– النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، (دمشق: دار الخير، ١٤١٤هـ)، ط١، ٤/ ١٨١١.

[9]– ابن حبان، محمد بن حبان التميمي الدارمي البُستي، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ)، ط٣، ٩/ ٢٣٢.

[10]– ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، فضائل الصحابة، جزءان، تحقيق: وصي الله محمد عباس، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج٢، ص٧٩٩، رقم الحديث: ١٤٣٣.

[11]– "جدل ساخن حول انتشار الأناشيد في الساحة"، عبد القادر الزين، الدمام، جريدة اليوم، الجمعة الموافق ١٢ يونيو ٢٠٠٩م، العدد: ١٣١٤٦. Alyaum.com

[12]– "مدخل إلى الإنشاد الديني في العالم العربي"، وائل قاقيش، مجلة شرق غرب، العدد: ٤، تاريخ: ٢/٢/ ٢٠١٥م. Sharqgharb.net.

[13]– "وضع الموسيقى في العالم المسلم"، لمياء الفاروقي، مجلة المسلم المعاصر، لبنان، العدد ٢٩، ٢١ مارس/ آذار ١٩٨٢م.

[14]– "مدخل إلى الإنشاد الديني في العالم العربي"، وائل قاقيش، مجلة شرق غرب، العدد: ٤، تاريخ: ٢/٢/ ٢٠١٥م. Sharqgharb.net.

[15]– "الأناشيد والأغنية الوطنية في الموسيقى العربية"، جوزيف البدوي، مجلة "الموسيقى العربية"، ١٦ أكتوبر ٢٠١٧م.

[16]– "أهمية الأناشيد في العملية التعليمية وأهداف تدريسها"، أمجد قاسم، من: موقع آفاق علمية وتربوية: باب التربية والثقافة، ١٢ يونيو ٢٠١٣م.

[17]– هكذا! والأصح: المقطوعة نفسها.

[18]– "المبتهلون: ٥٠ بالمائة من المنشدين لا يجيدون اختيار النص ولا المقامات الموسيقية"، أسماء قنديل هبة طلعت، نشر في روز اليوسف اليومية، ١٠/ ٩/ ٢٠٠٩م.

[19]– "الإنشاد الديني"، السيد نجم، دار ناشري للنشر الإلكتروني، مقالات، أدب وفن، ٣ نيسان/ أبريل ٢٠٠٥م.

[20]– "أهمية الأناشيد في العملية التعليمية وأهداف تدريسها"، أمجد قاسم، ١٢ يونيو ٢٠١٣م.

[21]– مقالة بعنوان: "المنشد الإسلامي أبو راتب يعيب الفن الهابط"، بتاريخ: ٢٠/٤/ ٢٠٠٢م، من موقع الشبكة الإسلامية. islamweb.net

[22]– تحت عنوان: "مع رائد النشيد الإسلامي المنشد أبو الجود"، حاوره: نجدت لاطة، في موقع رابطة أدباء الشام على الانترنت بتاريخ ٢٩/كانون الأول ٢٠٠٧م.

[23]- إسناده حسن، انظر: النووي، يحيى بن شرف الدين، الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، (مكتبة المؤيد، ١٤٠٨هـ) ط١، رقم الحديث: ٤٦٥.

[24]– علي بن حمزة العُمري، الفن المعاصر صوره وآثاره ... فلسفته وأحكامه، الكتاب الأول من سلسلة الثقافة الحيوية رؤية وسطية لقضايا عصرية، (دار الأمة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ط١، ص ١٣٦-١٣٨.

[25]– انظر المقدمة لكتاب "نشيدنا"، سليم عبد القادر ومنذر سرميني، المقدمة: عبد الله ناصح علوان، (القاهرة وحلب وبيروت: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٨م)، ط٥، ص ١٦ وما بعدها.

[26]– العمري، الفن المعاصر، ص ١٩.

[27]– يرجع مَنْ أراد البحث عن الحكم الفقهي للنشيد إلى كتب الفقه والفتاوى ومن ذلك: الغزالي، كتاب حقيقة النشيد وحكمه، من ص ١٧ — ٣٧. والعمري، كتاب الفن المعاصر صوره وآثاره ... فلسفته وأحكامه. وفتوى رقم ٢٠١٣٦ بعنوان: "الرؤية الصحيحة في حكم الأناشيد الإسلامية في المسجد"، بتاريخ ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٤هـ/ ١٧/٢/ ٢٠٠٤م، في موقف إسلام ويب، islamweb.net، وغيرها من مواقع الفتاوى أو مراجعة آراء العلماء في ذلك مباشرة.

[28]– محمود أبو الوفا، ديوان أناشيد دينية، (القاهرة: ١٩٣٧م).

[29]– الغزالي، حقيقة النشيد وحكمه، ص٥.

[30]– الشيخ أحمد البربور من أريحا من سوريا، توفي ٢٠٠٢م.

[31]– أبو مازن: هو رضوان خليل عنان، مهندس، من مواليد دمشق ١٩٥٢م، يقيم في مصر حالياً.

[32]– عبد القادر وسرميني، نشيدنا، ص٢٢.

[33]– انظر: عبد القادر وسرميني، نشيدنا، ص١٦ وما بعدها.

[34]– "النشيد الإسلامي ... الفن في المواجهة"، فاطمة عبد الرؤوف، شبكة الألوكة، ٢٦ / ١/ ٢٠١٠م، ١٠/ ٢/ ١٤٣١هـ.

[35]– الترمذي هو: محمد أمين الترمذي من مواليد حلب ١٩٤٥م، يلقب بشيخ المنشدين، واختير محكّماً في مسابقات للإنشاد.

[36]– محمد خشفة، من مواليد حلب ١٩٥٩م، له خمسة أشرطة للأناشيد، ثم توقف ولم يعد ثانية للإنشاد.

[37]– "النشيد الإسلامي من المسجد إلى الفيديو كليب"، نجدت لاطة، رابطة أدباء الشام ١٩ تشرين الثاني ٢٠٠٥م، ونشر في مجلة "فلسطين المسلمة" بتاريخ ١/١١/ ٢٠٠٥م.

[38]– توفي في حادث سير، في ٧يناير ٢٠١٨م، وله أنشودته المشهورة "فرشي التراب".

[39]– يطلق عليه لقب: الحنجرة الإنشادية الأولى خليجياً.

[40]- مغني راب انتقل إلى عالم الإنشاد.

[41]- كات ستيفنز سابقاً: المغني البريطاني المعروف، اعتنق الإسلام.

[42]– "اتجاهات الشباب الجزائري نحو الفضائيات الدينية الإسلامية ودورها في توعيته ضد التطرف والتعصب"، دراسة ميدانية، د. رحيمة الطيب عيساني المحاضرة بجامعة باتنة، الجزائر، ص ١٤ و١٥.

[43]– انظر: عمر بهاء الدين الأميري، ديوان "أب"، (بيروت: دار القرآن الكريم، ١٣٩٤هـ)، ط١، ص٤.

[44]– خالد بن سعود الحليبي، عمر بهاءالدين الأميري شاعر الإنسانية المؤمنة، (جازان: منشورات نادي جازان الأدبي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ط١، ص٧.

[45]– عمر بهاء الدين الأميري، ديوان "مع الله"، (بيروت: دار الفتح، ١٣٩٢هـ)، ط٢، ص ١٢٦.

[46]- المصدر نفسه، ص٥٧.
[47]- المصدر نفسه، ص ٥١.
[48]- المصدر نفسه، ص ١٨٢- ١٨٧.
[49]- المصدر نفسه، ص ١١٦.
[50]- المصدر نفسه، ص ١١٩ و١٢٠.